

حين تمحو المطاوعة الفرصة التعليمية

الخطأ بين المحو والتوظيف: إشكالية بيداغوجية في السلك الابتدائي

د. مليكة اخبيزة

وزارة التربية الوطنية _ التعليم الابتدائي

تازة - المغرب

maryam0hajar@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/05/10 تاريخ القبول: 2026/06/10 تاريخ النشر: 2026/07/23

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة بيداغوجية لافتة تم رصدها خلال الزيارات الميدانية للأقسام الابتدائية، وتمثل في الانتشار المتزايد لاستخدام قلم الرصاص في إنجاز الواجبات الكتابية، مع اللجوء إلى المحو الفوري للأخطاء وإعادة كتابتها صحيحة، بديلاً عن الأسلوب البيداغوجي المعتمد القاضي بالكتابة بالقلم الأزرق وتصحيح الأخطاء بالقلم الأخضر. تنطلق الدراسة من إشكالية محورية مفادها: ما الانعكاسات الديداكتيكية والبيداغوجية والنفسية لممارسة المحو المنهجي للخطأ في مرحلة التعليم الابتدائي؟ وتعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي بالاستناد إلى المرجعيات النظرية في علوم التربية والديداكتيك وعلم النفس المعرفي. وتخلص النتائج إلى أن هذه الممارسة تؤثر على المتعلم فرصة التعلم من الخطأ بوصفه رافعة ديكتيكية، وتعيق عمل الأستاذ في التشخيص والعلاج، فضلاً عن تأثيرها السلبي على تنمية مهارتي الخط وتنظيم الكتابة. وتقترح الدراسة جملة من التوصيات الإجرائية لتجاوز هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: قلم الرصاص؛ المحو - التعليم الابتدائي؛ بيداغوجيا الخطأ؛ الديداكتيك؛ التشخيص والعلاج

When the Eraser Deletes the Learning Opportunity :

A Pedagogical issue in Primary Education

Dr. Malika AKHBIZA

Ministry of National Education_ Primary Education

Taza - Morocco

maryam0hajar@gmail.com

Received: 10/05/2026

Accepted: 10/06/2026

Published: 23/07/2026

Abstract

This study aims to shed light on a notable pedagogical phenomenon observed during field visits to primary school classrooms: the growing use of pencils to complete written assignments, accompanied by the immediate erasure of errors and their rewriting in correct form as an alternative to the established pedagogical approach of writing in blue ink and correcting errors in green.

The study is grounded in a central research question : What are the didactic, pedagogical, and psychological implications of the systematic erasure of errors at the primary education level?

It adopts a descriptive-analytical methodology, drawing on theoretical frameworks in educational sciences, didactics, and cognitive psychology. The findings conclude that this practice deprives learners of the opportunity to learn from their errors as a didactic lever, hinders the teacher's ability to diagnose and remediate learning difficulties, and negatively impacts the development of handwriting skills and written organization. The study concludes with a set of practical recommendations to address this phenomenon.

Keywords: pencil; erasure; primary education; error-based pedagogy; didactics; diagnosis and remediation

مقدمة

تعد الكتابة من المهارات الأساسية التي يولي لها التعليم الابتدائي عناية بالغة، إذ إنها ليست مجرد وسيلة للتعبير عن المعرفة، بل هي فضاء للتفكير وأداة لبناء الكفايات. وقد أرست المناهج الدراسية جملة من الضوابط المنهجية الهادفة إلى توظيف الإنتاج الكتابي للمتعلم بوصفه مادة للتحليل والتشخيص والعلاج؛ ومن بين هذه الضوابط اعتماد نظام القلم الأزرق للإنجاز والقلم الأخضر للتصحيح الذاتي، مما يتيح للأستاذ رصد الأخطاء ودراستها ووضع برامج علاجية مناسبة.

غير أن الزيارات الميدانية للأقسام الابتدائية كشفت عن ظاهرة مغايرة في تصاعد ملحوظ، وهي لجوء المتعلمين إلى قلم الرصاص في إنجاز كتاباتهم، ثم محو الأخطاء وإعادة كتابتها صحيحة. تبدو هذه الممارسة للوهلة الأولى حرصاً على جمالية الكتابة واستغلالاً لمساحات الكراسة، لكنها تنطوي على إشكاليات بيداغوجية وديداكتيكية عميقة تستدعي الوقوف والتأمل والتحليل العلمي.

تنبثق هذه الدراسة من قلق ميداني حقيقي، وتروم الإجابة عن السؤال الجوهرى الآتي: إلى أي حد تشكل ممارسة المحو المنهجي للخطأ في الكتابة ظاهرة ديدكتيكية ذات انعكاسات سلبية على مسارات التعلم والتقييم والعلاج في التعليم الابتدائي؟

أولاً: الإشكالية والتساؤلات الفرعية

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول الظاهرة الموصوفة آنفاً، وتتفرع عنها التساؤلات الفرعية التالية:

- ما الوظيفة الديدكتيكية لنظام الألوان في التصحيح، وكيف تتعارض ممارسة المحو مع هذه الوظيفة؟
- كيف تعيق ممارسة المحو المنهجي استثمار بيداغوجيا الخطأ بوصفها رافعة تعليمية؟
- ما الأثر النفسي والتربوي لمحو الخطأ على المتعلم في مرحلة التعليم الابتدائي؟
- كيف تنعكس هذه الممارسة على مهارة الخط وجمالية تنظيم الكتابة؟
- ما العوامل الكامنة وراء انتشار هذه الظاهرة، وما التوصيات الإجرائية لتجاوزها؟

ثانياً: الوظيفة الديدكتيكية لنظام الألوان في التصحيح

1. الأسس النظرية للنظام

إن نظام الكتابة بالقلم الأزرق وتصحيح الأخطاء بالقلم الأخضر ليس محض تقليد بيروقراطي، بل هو قرار ديدكتيكي مدروس مستند إلى مبادئ علمية راسخة. فالتمييز البصري بين الإنجاز الأصلي والتصحيح يمكن الأستاذ من قراءة مسار التعلم، لا قراءة نتيجته فحسب. وقد أكدت أبحاث في مجال التقييم التكويني (Black & Wiliam, 1998) أن التغذية الراجعة المرئية والموضوعة في السياق ذاته الذي نشأ فيه الخطأ أشد أثراً في التعلم من التغذية الراجعة المعزولة.

2. الوظائف الديدكتيكية للنظام

- الوظيفة التشخيصية: تمكن الكتابات المحتفظ بأخطائها من رصد الأنماط الخطئية المتكررة وتحديد طبيعتها (مفهومية، لغوية، إجرائية).
- الوظيفة العلاجية: يشكل تحليل الأخطاء المادة الخام لبناء أنشطة علاجية مستهدفة ومتمايزة.
- الوظيفة التواصلية: يتيح النظام حوارا بيداغوجيا ضمنيا بين الأستاذ والمتعلم حول مسار التعلم.
- الوظيفة الميتا معرفية: يتيح للمتلم رؤية مساره الخاص ومراقبة تقدمه عبر الزمن.

ثالثا: بيداغوجيا الخطأ وإشكالية المحو

1. إعادة الاعتبار للخطأ

لقد شهدت أدبيات التربية خلال العقود الأخيرة مراجعة جذرية لمكانة الخطأ في منظومة التعلم. فبعد أن كان ينظر إليه بوصفه تقصيرا يستوجب العقاب والمحو، أصبح يعد في ضوء المقاربات البنائية وما بعد البنائية مؤشرا نافعا يكشف عن التمثلات الذهنية للمتلم وآليات تفكيره. ويذهب أستولفي Astolfi (1997) في كتابه الموسوم بـ"الخطأ، أداة للتدريس" إلى أن الخطأ "عرض من أعراض التعلم لا من أعراض القصور"، وأن توظيفه يتطلب من الأستاذ "أن يبقى آثاره مرئية" حتى يتسنى استثمارها.

2. ممارسة المحو: قراءة نقدية

حين يحمو المتلم خطأ فور اكتشافه أو بعد اطلاعه على الصواب، فإنه يزيل الدليل الوحيد الذي يمكن كلا من الأستاذ والمتلم ذاته من فهم ما حدث في الذهن لحظة الإنجاز. وهذا ما يمكن تسميته بـ"عمى الخطأ المكتسب"، وهو عمى يثبط نمو الكفايات الميتا معرفية. فمن منظور فيجوتسكي، يشكل الخطأ الظاهر نقطة انطلاق لمنطقة التطور القريب، فإذا محى انتفت فرصة الوساطة التربوية الفاعلة. مما يعمق المفارقة أن المتلم الذي يحمو خطأ قد يبدو كتابه نظيفا ومثاليا، في حين أن هذه النظافة المصطنعة تخفي فجوات معرفية حقيقية. وهو ما عبر عنه هاتي وتيمبرلي Hattie & Timperley (2007) حين أكدوا أن التغذية الراجعة لا تؤدي دورها إلا حين يبقى المتلم جسرا مرئيا بين ما أنجزه وما ينبغي أن ينجزه.

رابعا: الأبعاد النفسية والتربوية

1. الخطأ والصراع المعرفي

من منظور بياجيه Piaget، يولد الخطأ صراعا معرفيا يدفع المتلم إلى مراجعة مخططاته الذهنية وإعادة تنظيمها بما يحقق التوازن. فإذا تم المحو قبل أن تتشكل هذه الديناميكية الداخلية، انتفى الصراع وبقيت التمثلات الخاطئة كامنة دون علاج حقيقي. وهكذا يكون المحو رديفا للتعلم الشكلي السطحي الذي يستهدف الإجابة الصحيحة لا الفهم العميق.

2. الخوف من الخطأ وثقافة الكمال

تكشف ظاهرة المحو أيضا عن بعد نفسي ضمني متعلق بعلاقة المتلم بالخطأ. فقد تشير إلى ثقافة صفية يسود فيها الخوف من الخطأ والرغبة في تقديم صورة مثالية، سواء أمام الأستاذ أو الأقران، وهو ما تشير إليه دويك Dweck (2006) حين تميز بين "العقلية الثابتة" (Fixed Mindset) التي تعد الخطأ تهديدا للكفاءة، و"العقلية النامية" (Growth Mindset) التي تعد خطوة ضرورية في مسار الإتقان. إن انتشار قلم الرصاص قد يكون مؤشرا على هيمنة العقلية الثابتة في الفضاء الصفّي.

3. الاستقلالية والاعتماد على الذات

ثمة بعد ثالث يتعلق بالاستقلالية الذاتية للمتعلم. فالتصحيح بالقلم الأخضر ينطوي على وعي ذاتي بوجود الخطأ وقبوله، وهو فعل نفسي ناضج يعزز الاستقلالية وينمي الثقة بالنفس. في المقابل، يرسخ المحو عادة الإخفاء والاستتار، وهي عادة تتعارض مع مبدأ المساءلة الذاتية الذي تسعى التربية الحديثة إلى بنائه.

خامسا: الأثر على مهارة الخط والتنظيم الكتابي

1. الخط بوصفه كفاية

لا يقتصر "الخط" في منظومة التعليم الابتدائي على كونه مجرد رسم للحروف، بل هو كفاية متكاملة تشمل الدقة الحركية والتنسيق البصري الحركي والمعالجة الجمالية. وقد أثبتت الدراسات أن جودة الخط ترتبط ارتباطا وثيقا بأداء المتعلم الأكاديمي العام (Graham et al, 2000)، لما يتيح من تحرير الطاقة المعرفية للتركيز على المحتوى.

2. قلم الرصاص والإضرار بجودة الخط

يدخل قلم الرصاص في ذهن المتعلم وعيا ضمنيا بأن الكتابة مؤقتة وقابلة للتعديل، مما يقلل من العناية والانتباه الذي يولي للحرف لحظة رسمه. ومن المفارقات أن السعي إلى النظافة عبر المحو كثيرا ما ينتهي إلى صفحة ممزقة أو محو بصورة غير تامة، مما يفسد الجماليات عوض أن يحسنها.

3. التنظيم الكتابي والمهارات الدراسية

يوفر الإبقاء على الكتابة الأصلية والتصحيح الملون فضاء بصريا منظما يعلم المتعلم التخطيط والتسلسل وتنظيم الفكر. في حين يفضي المحو المتكرر إلى فضاء فوضوي وغير منظم، وإلى تعلم ضمني مفاده أن الكتابة يمكن دائما تعديلها، وهو ما يتعارض مع متطلبات التعبير الكتابي في مراحل لاحقة حيث لا مجال للمحو.

سادسا: العوامل الكامنة وراء الظاهرة

1. العوامل المرتبطة بالأستاذ

تتضمن هذه العوامل: غياب أو ضعف التكوين البيداغوجي حول بيداغوجيا الخط واستثماره، وعدم الوضوح حول التعليمات والتوجيهات الرسمية المنظمة لآليات التصحيح، وضغط الوقت الذي قد يجعل التصحيح الملون مرهقا للأستاذ. كذلك قد يكون الأستاذ نفسه يشجع على المحو ضمنا لأنه يريح من مواجهة الأخطاء وتحليلها.

2. العوامل المرتبطة بالمتعلم وأسرته

تشير الملاحظات المجتمعية إلى أن بعض الأسر تعبر عن سعادتها حين يحضر أبنائها كتباً ودفاتر نظيفة خالية من الأخطاء، مما يخلق ضغطا اجتماعيا لإخفاء الأخطاء. يضاف إلى ذلك ما يسميه ميريو (Meirieu, 1990) "منطق الإنجاز" في مقابل "منطق التعلم"، إذ يصبح التلميذ مهتما بالمنتج النهائي الجميل أكثر من اهتمامه بمسار التعلم.

3. العوامل المرتبطة بالمناخ الصفّي والتقييم

حين يهيمن على الفضاء الصفّي تقييم جزائي يربط الخطأ بالعلامة المنخفضة، يصبح المحو استراتيجية دفاعية مفهومة. فالمتعلم يدرك بشكل حدسي أن الخطأ الظاهر سيكلفه، فيسعى إلى إخفائه. وهذا يشير إلى خلل في فلسفة التقييم المعمول بها، وإلى ضرورة التحول نحو التقييم التكويني.

سابعا: انعكاسات الظاهرة على العمل التربوي

يشكل تحليل الإنتاجات الكتابية للمتعلمين من بين الأدوات الأساسية التي يعتمد عليها الأستاذ في تقييم مستوى الفصل وجودة الممارسات الصفية. فحين تمحى الأخطاء، يفقد الأستاذ القدرة على:

- رصد مؤشرات مستوى التمكن الفعلي للمتعلمين في مختلف المكتسبات.
 - استثمار نتائج التقييم التكويني في بناء أنشطة الدعم والعلاج.
 - تحليل تطور الأخطاء عبر الزمن وقياس مردودية الإجراءات العلاجية المتخذة.
 - تكوين صورة حقيقية عن ديناميكية الفصل ومستوى النشاط المعرفي للمتعلمين.
- وهكذا تُفضي ممارسة المحو إلى نوع من "التعمية التربوية" التي تشوّه صورة الواقع الصفّي.

ثامنا: توصيات إجرائية

على مستوى الأستاذ

- اعتماد نظام الألوان في التصحيح بصرامة وتوضيح مبرراته البيداغوجية للمتعلمين أنفسهم.
- تنظيم أنشطة تحليل الأخطاء الجماعية بصورة دورية تجعل من الخطأ مادة للبحث والتفكير.
- تبني خطاب إيجابي نحو الخطأ يعزز عقلية النمو ويكافئ الشجاعة على الاعتراف بالخطأ.
- ربط نتائج التحليل الكروماتيكي للأخطاء ببرامج دعم، وعلاج واضحة وموثقة.

على مستوى الإطار الإشرافي

- إدراج توجيهات واضحة حول ممارسات التصحيح المقبولة.
- تنظيم أيام دراسية وتكوينية حول بيداغوجيا الخطأ وأدوات التشخيص والعلاج.
- توعية الأساتذة بكون نوعية الإنتاجات الكتابية وظهور الأخطاء وأساليب تصحيحها معيار من معايير التقييم للممارسة التعليمية.

على مستوى الأسرة

- تنظيم لقاءات توعية لأولياء الأمور حول الأهمية التربوية للخطأ وأثر ثقافة الكمال الزائف.
- توضيح أن الدفتر النظيف بلا أثر للتصحيح ليس بالضرورة دليلا على تعلم جيد.

خاتمة

تؤكد هذه الدراسة أن ظاهرة استخدام قلم الرصاص ومحو الأخطاء في التعليم الابتدائي ليست ظاهرة هامشية، بل هي كاشفة عن نمط تفكير تربوي مضمّر يضع جمالية الشكل فوق صدق مسار التعلم، ويفضل الإجابة الصحيحة على حساب رحلة بناء المعرفة.

إن الخطأ في الفضاء التربوي الحديث ليس وصمة تزال بالمطاطة، بل هو بصمة تروي مسيرة التعلم. والمدرسة الحقيقية ليست التي تنتج دفاتر نظيفة، بل التي تنتج عقولا تفكر وتصحح وتنمو.

في ضوء ذلك، ندعو هذه الدراسة إلى مقارنة شاملة تعيد الاعتبار لفلسفة الخطأ في الفضاء الصفّي، وترسخ ثقافة التقييم التكويني، وتعيد النظر في أدوات التقييم لتصبح أقل انبهارا بالنظافة وأكثر انتباها لعمق التعلم.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العربية

- الدريج، محمد. (2004). الكفايات في التعليم: من أجل تطبيق ناجح. منشورات القاهرة.
- زيتون، حسن. (2003). التدريس نحو رؤية معرفية. عمان: عالم الكتب.
- العيادي، محمد. (2011). بيداغوجيا الأخطاء وآليات التصحيح. الرباط: منشورات مجلة التربية.
- مزوز، بركة. (2015). التقييم التكويني في ضوء المقاربة بالكفايات. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- وزارة التربية الوطنية. (2019). المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي (المراجعة 2019). الرباط: المديرية العامة للمناهج.
- Dreeg, M. (2004). Competencies in Education: Towards a Successful Application. Cairo Publications.
- Zeitoun, H. (2003). Teaching Towards a Cognitive Vision. Amman: Alam Al-Kutub
- El Ayadi, M. (2011). Error Pedagogy and Correction Mechanisms. Rabat: Journal of Education Publications
- Mazouz, B. (2015). Formative Assessment in the Light of the Competency-Based Approach. Algeria: University Publications Office.
- Ministry of National Education. (2019). Primary Education Curriculum (2019 Revision). Rabat: Directorate General of Curricula.
- Astolfi, J.-P. (1997). L'erreur, un outil pour enseigner. Paris: ESF Éditeur
- Black, P., & Wiliam, D. (1998). Assessment and classroom learning. Assessment in Education, 5(1) 774.
- Bloom, B. S. (1971). Mastery learning. In J. H. Block (Ed.), Mastery learning: Theory and practice New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Carless, D. (2007). Learning-oriented assessment: Conceptual bases and practical implications Innovations in Education and Teaching International, 44(1), 57–66.
- Dweck, C. S. (2006). Mindset: The new psychology of success. New York: Random House
- Graham, S., Berninger, V., & Fan, W. (2000). The structural relationship between writing attitude and writing achievement in first and third-grade students. Contemporary Educational Psychology, 25(3) 387–395.
- Hattie, J., & Timperley, H. (2007). The power of feedback. Review of Educational Research, 77(1) 81–112.
- Meirieu, P. (1990). L'école, mode d'emploi: Des méthodes actives à la pédagogie différenciée. Paris ESF Éditeur.
- Piaget, J. (1977). The development of thought: Equilibration of cognitive structures. New Yor: Viking Press.
- Vygotsky, L. S. (1978). Mind in society: The development of higher psychological processes Cambridge, MA: Harvard University Press